اسامة بن منقذ

— ٢ —

أتقن أسامة الفن القصصي وأبدع في ايراد نكته كل الابداع . ولو عاش اليوم لتأهل لمركز أستاذ في احدى مدارس الصحافة التي تلقن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الوقائع وسرد الحوادث . خذ مثالاً الكيفية التي روى فيها قصة الطبيب الافرنجي بازاء الطبيب العربي[١] او قصة جزاء الامانة[٢] فان الفن الحديث يكاد يعجز عن الاتيان باحسن منها .

لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اسماؤها . وضع معظمها في أخريات حياته وهو مبعد في حصن كيفا حيث اتسع له المجال للدرس والتأليف . ولقد ذكر بعضها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١) « كتاب البديع في البديع » . (٢) « تاريخ القلاع والحصون[٣] » . (٣) « أزهار الأنهار » . (٤) « التاريخ البلدي » . (٥) « نصيحة الرعاة » . (٦) « التجائر المربحة والمساعي المنجحة[٤] » . (٧) « اخبار النساء[٥] » . (٨) « كتاب العصا[٦] » . (٩) « ديوان أسامة[٦] » . (١٠) « كتاب النوم والاحلام[٧] » . (١١) « كتاب المنازل والأديار[٨] » . (١٢) « كتاب لباب الآداب[٩] » . (١٣) « كتاب الاعتبار » وهو الذي نحن في صدده .

---

(١) كتاب الاعتبار ص ٩٧ — ٩٨ . (٢) ايضاً ١٣١ . (٣) صالح بن يحيى ص٣٦ يقول ان « عزالدين أسامة المذكور هو الذي بنى قلعة عجلون » ويلوح لنا ان صالحاً خلط بين أسامتنا وغيره . (٤) راجع وصف درنبورغ لهذه المخطوطات في (Vie d,ousama) ٣٣٠ — ٣٣٨ . (٥) أشار اليه أسامة في « كتاب العصا » .

(٦) نشر درنبورغ منتخبات منه في باريز ١٨٩٣ . (٧) أشار اليه أسامة في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ . (٨) مخطوطة في المتحف الاسيوي في لنينغراد ذكرها الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي في « مجلة المجمع العلمي العربي » تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥ .

(٩) مخطوطة كتب لي عنها مالكها الدكتور يعقوب صروف بتاريخ ٣٠ ايار سنة ١٩٢٧ وعليها بخط ابن أسامة مرهف ان والده اهداها اليه سنة ٥٨٢ راجع «المقتطف» كانون اول سنة ١٩٠٧ ونيسان سنة ١٩٠٨ . وربما كانت بخط المؤلف نفسه . وفي رسالة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاه صلاح الدين يوسف بن ايوب من حصن كيفا وأسكنه داراً بدمشق ، وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب مرهف الذي كان من المقربين لدى السلطان[1] . وارجع له صلاح الدين اقطاعاً كان في الاصل على مايظهر لأسامة، فعاد خمر الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خلاً ، وتنعم صديقنا بشيء من الرفه والهناء قبيل وفاته . فأخذ يلقي المحاضرات في البديع ، ويدرّس في المدرسة الحنفية . ولكن لأسباب نجهلها انقلب عليه ظهيره صلاح الدين ، وربما كانت اقامة أسامة في مصر وأدت فيه ميلاً للتشيع لحظه صلاح الدين[2] « محيي دولة امير المؤمنين[3] » و « سنة الخلفاء الراشدين[4] » . ولانعلم كم طال هذا الجفاء . على ان صالح بن يحيى[5] ذكر ان صلاح الدين ولّى ببيروت عز الدين أسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظمين عند السلطان حتى لم يكن يقدّم عليه احداً في المشورة والرأي . وعاد فروى (ص٣٨) ان عز الدين أسامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيداء خرج من المدينة بجماعته واهله ، فهجاه احدهم بقوله لصاحب حصن تبنين :

سلّم الحصن ما عليك ملامه لا يلام الذي يروم السلامه

خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس تاريخها ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٧ انه رأى وهو بقونية باحدى خزائنها نسخة من « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث لشارحه ابي عبيد احمد بن محمد بن ابي عبيد العبيدي الهروي على آخر الجزء الثاني ماصورته « وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة بمدينة حمص . كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني المالكي »

(١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة ابن اخي أسامة، اوفده صلاح الدين الى احد السلاطين الموحدين بمراكش للمخابرة بشأن استخدام الاسطول لقطع سبل الاتصال البحري بين الافرنج وبين بلادهم . وكان لأسامة عم مقرّب من الخليفة الفاطمي « كتاب الاعتبار » ص ١٥٤ .

(٢) الذهبي ملحق (Vie d' ousama) ٦٠٢ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢٣ .

(٤) ايضاً ٢٢٤ . (٥) « تاريخ بيروت » ٣٥ — ٣٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فعطاء الحصون من غير حرب سُنةٌ سنَّها ببيروت أسامه

ويظهر من هذا ومن ابن الاثير[١] انه كان يومئذ ببيروت حاكم يعرف باسامة ولكنه هو غير ابن منقذ فالافرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧ وابن منقذ توفي عام ١١٨٨[٢] .

* * *

بعد ان توقَّل أسامة « ذروة التسعين[٣] » وهو في دمشق يتفيأ في ظلال نعمة مولاه صلاح الدين ، اخذ يطلّ من ذاك العلو الشاهق على سابق اختباراته ويدوّنها — او يلقنها — بانشاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل[٤] — تلك هي المذكرات الخالدة الموسومة بـ « كتاب الاعتبار » . أملاها أسامة وهو يردّد :

اذا كتبتُ بخطّي جدّ مضطربٍ كخط مرتعش الكفّين مرتعدِ
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً من بعد حطم القنا في لبّة الأسد
وان مشيتُ وفي كفي العصا ثقلتْ رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد[٥]

ولسان حاله :

قد كنتُ مسعرَ حربٍ كلما خمدتْ أذكيتُها بافتداح البيض في القُلل

اما الآن :

فصرتُ كالغادة المكسال مضجعُها على الحشايا وراء السجف والكللِ
قد كدت أعفنُ من طول الثواء كما يصدي المهندَ طولُ اللبث في الخللِ
أروحُ بعد دروع الحرب في حُلل من الدَّبيقي فبؤساً لي وللحُلل[٦]

بين كُتُب الادب العربي سيرٌ عددها غير قليل : منها ما كُتب في عصر أسامة بالذات : كسيرة صلاح الدين الموسومة « بالفتح القسي في الفتح القدسي » بقلم عماد الدين

---

(١) في « Recueil » مجلد ٢ جزء ١ ص ٨٥ . (٢) لم ينتبه لهذا الخلط بين الأسامتين الأب شيخو محرر صالح بن يحيى فانه في حاشية ٢ ص ٣٥ جعل الاثنين واحداً .
(٣) « كتاب الاعتبار » ١١٩ . (٤) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف أسامة لشيخوخته ولعطف صلاح الدين عليه ص ١١٩ — ١٢٤ . (٥) ص ١٢٢ .
(٦) ص ١٢٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكاتب الاصبهاني ، وأختها الموسومة « بالنوادر السلطانية » بقلم بهاء الدين ، وكسيرتي نور الدين وصلاح الدين المعنونتين « بكتاب الروضتين في أخبار الدولتين » تأليف ابي شامة . ولكنها كلها تتضاءل أمام سيرة أسامة بقلم نفسه « كتاب الاعتبار » هو اول سيرة في الآداب العربية — على مانعلم — المترجم والمترجم له فيها واحد .

رمى المؤلف من وراء كتابه الى تعليم أمثولة ادبية ، لذلك سماه « كتاب الاعتبار » وأورد مواد يرجى منها ان يعتبر القارئ بما حلّ بغيره و يستفيد لنفسه[١] . اما العظة التي اراد ان ينقشها على ذهن القارئ بحيث لاتمحى فهي « ان ركوب اخطار الحروب لا ينقص أجل المكتوب . فانني رأيت ... معتبراً يوضح للشجاع العاقل ، والجبان الجاهل ، ان العمر موقت مقدّر ، لا يتقدم اجله ولا يتأخر[٢] ، وان الله مقدّر الأقدار وموقت الآجال والأعمار[٣] » وانه يجب ان لا يظنّ ظانٌّ ان الموت يقدّمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر[٣] ، وان « النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى ، لا بترتيب وتدبير ، ولا بكثرة نفير ولا نصير[٤] » .

ولإثبات قضيته أتى أسامة بالقصة تلو القصة « التشابه والمشاركة ، واحياناً التناقض والمخالفة » كان السلك الذي قاده من رواية الى رواية . ولكن الكثير من المادة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصة به . هنا وهناك يشعر القارئ ان الراوي قد رشّ شيئاً من (البهار) على القصة لتحسينها ، او مطّ الواقع قليلاً في الحادث لإشباع داعي الغرض . أخبار كرامات الاولياء ومناقبهم (الباب الثاني ص ١٢٥ — ١٣٨) كلها ازدردها أسامة ، ولم يتسام فوق المستوى الذي عاش فيه جيله . كذلك الاحلام آمن بها ووضع فيها كتاباً[٥] . بيد ان ذلك كله لا يعني ان مقياس الصدق لم يكن بالاجمال عالياً .

من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حلّل فيه أسامة الأثر الذي أثره في نفسه — وهو المسلم المحافظ — الافرنج الصليبيون . ملاحظات ابن جبير واقوال ابن الاثير لها

---

(١) ص ١٢٠ — ١٢١ . (٢) ١٢٠ . (٣) ١٢١ . (٤) ١٠٩ .

(٥) تجد اشارة الى « كتاب النوم والاحلام » في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منزلتها ، ولكنها لا توازي منزلة هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة . الافرنج في نظر أسامة ، لهم شجاعتهم ولكنهم خالون من «الغيرة» الجنسية[١] . طبهم ساذج جاهل بالمقابلة مع الطب العربي على ما مثّله ثابت[٢] وابن بطلان[٣] النصرانيان . محاكماتهم غيبة غريبة[٤] . « من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين[٥] » . المؤلف لم يبخل عليهم بلقب « شياطين[٦] » و « كافرين[٧] » ، ولم يتردد في استنزال « لعنة الله عليهم[٨] » عملاً بمصطلح كتّاب ذلك اليوم ، وفي الدعاء الى الله تعالى ان « يطهّر الدنيا منهم[٩] » . لذلك يلذ لنا ان نسمع صديقاً افرنجياً يدعو أسامة « بالاخي[٩] » و يرجوه ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الافرنج ، وان نرى سامة يسمي الفرسان الداوية (Templars) «أصدقائي[١٠]» ونرى هؤلاء يخلون له في المسجد الاقصى مسجداً صغيراً يصلي فيه اذا زار البيت المقدس .

وفي الكتاب ، فضلاً عن ذلك ، اشارات وفيرة تنير لنا أحوال البلاد الشامية لذلك العهد في الزراعة والاجتماع ، وتعرض أمام أبصارنا صوراً شتى من صور الحياة السورية العربية . فقد علمنا ان القطن كان من غلة كفرطاب[١١] ، وان غابات شمالي البلاد الكثيفة كانت غنية بالأسود والنمور والغزلان وحمُر الوحش[١٢] ، وان جلاء العروس[١٣] — على ما هو متبع الى اليوم في لبنان — كان عادة في القرن الثاني عشر ، وان استئجار ندّابات تندب في المآتم[١٤] كان معروفاً يومئذ كما هو معروف اليوم .

و يتناول آخر فصول الكتاب (ص١٣٩ فما بعد) مسألة الصيد على ما مارسه ابناء ذلك الزمان بالبازي والصقر وبمعونة الكلاب ، وذلك على شواطئ دجلة والفرات والعاصي والنيل . حتى صيد السمك بالطرق العتيقة الساذجة لم تفت أسامة فانه وصفها[١٥] كأنك ترى العملية بعينيك .

* * *

(١) « كتاب الاعتبار » ١٠٠ . (٢) ٩٨ . (٣) ١٣٥ — ١٣٨ .
(٤) ١٠٣ . (٥) ٩٩ . (٦) ٨٧ و٩٥ . (٧) ١٠٠ و٩٥ . (٨) ١٠٣ الخ .
(٩) ٩٧ (١٠) ٩٩ (١١) ١٢ ؛ س٨ (١٢) ٨٠ — ٨٢ — ١٤١ .
(١٣) ١٣٣ س٨ (١٤) ٨٥ (١٥) ١٦١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مخطوطة كتاب الاعتبار هي وحيدة لأخت لها ، على ما نعلم ، محفوظة في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا . وهي ٦٧ ورقة ومخرومة الاول فقد منها ٢١ ورقة ، فيكون اصلها ٨٨ ورقة . والمخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود و بالخط الشامي الذي يرتقي الى القرن الثالث عشر . فهي إذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا .

وفي خاتمة المخطوطة ما نصه :

« وكان في آخر الكتاب مامثاله :

قرأت هذا الكتاب من اوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدّي الامير الأجل العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين ، جليس الملوك والسلاطين ، حجة العرب خالصة امير المؤمنين ، أدام الله سعادته . وسألته ان يجيزني روايته عنه . فأجابني الى ذلك . وسطّر خطه الكريم به . وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة عشر[1] وستمائة صحيح ذلك . وكتب جده مرهف بن أسامة بن منقذ حامداً ومصلياً » .

والتاريخ اعلاه ١٣ صفر ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) ، ليس هو تاريخ مخطوطتنا هذه — كما وهم درنبورغ[2] — بل تاريخ الام التي نسخت عنها . فنسختنا إذن غير مؤرخة ، ولكنها منقولة عن مخطوط كُتب بعد وفاة المؤلف (أسامة) بست وعشرين سنة قمرية وعليه اجازة من مرهف بن أسامة المحبوب موقّعة بامضائه .

وهذه المخطوطة نشرها الاستاذ هارتوغ درنبورغ بالطبع (ليدن ١٨٨٤) . وهي التي نعدّها الآن للطبع في مطبعة برنستون العربية وذلك نقلاً عن الصورة الفوتغرافية التي حصلنا عليها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد .

وقد حفلت مخطوطتنا بالاغلاط النحوية الصرفية التي لا يتأتى ان يرتكبها مؤلفها — واضع كتاب في «البديع» وصاحب «ديوان» — وهي ايضاً غنية بالعبارات العامية مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً وان ايدي النساخ عبثت به .

واليك امثلة من آثار عدم عناية الناسخ اوالنساخ : (دشني) (دشن)[3] (موز)

---

(١) «عسره» في الاصل . (٢) في المقدمة الافرنسية ص ١٠ التي قدم بها مطبوعته « كتاب الاعتبار » . (٣) ص ٣٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(موزا)[١] ، (الرحا) (الرحى)[٢] ، (قاسم) (قسيم)[٣] ، الى آخر ماهنالك من الكلمات التي جاءت بصورتين او اكثر في سطر واحد او صفحة واحدة .

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالته على سلامة ذوق أسامة في الانشاء اذ كم من حقيقة بعيدة الغور في طبيعة الانسان او اختباره — لا يسهل التعبير عنها في الأدب العالي ومعظمه اصطناعي بل في النسق الساذج (الدارج) الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ومناحيها — فأمره يهمنا من وجهة أخرى . مقابلة هذه الألفاظ والاصطلاحات مع مايماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس مهم في تطوّر اللغة العربية المحكية . وهاك امثلة من أسامة :

(أ) « أيش (ايشيء) انتم ؟ » (ص٨) — « ايش (ايشيء) كان من خبر الصبية ؟ » (ص١٢٩) — « مافي (لايقدر) هذا يسرق رغيف خبز » (ص٣٣) — « تموا (مازالوا) يطردونهم » (ص٣٧) — « خفت لا (لئلا) يكون لهم » (ص٤٧) — « دار حول الصخرة وطّلم (تطلّع) تحتها » (ص١٥٩) — « حمدت الله سبحانه الذي (اللي — في العامية) ماناله ضرر » (ص ٤٧) الخ .

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل لما لا يعقل : — « الكلاب نطعمهم (نطعمها) من عيشنا » (ص٩) .

(ج) استعمال المثنى المنصوب في حالة الرفع : — « ديواني كل شهر دينارين (ديناران) » (ص٥٦) — « وفيه خرنقين (خرنقان) » (ص١٤٣) .

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد لاسم مثنى : — اطمرهم (اطمرهما) » (ص١٤٣) « يبست رجلاي ودقّت (دقّتا) » (ص١٣١) — فخرج فارسان ... فصادفوا (فصادفا) رجلاً ... فأخذوه (فأخذاه) » (ص٤٧) .

(ه) لغة اكلوني البراغيث : = « فاقنطعوهم (فاقتطعهم) الروم » (ص٦٩) .

(و) الميل لاهمال الهمزة او تحويلها باء : = « الحيط (الحائط) » (ص٥٥) — « خبّيته (خبّأته) » (ص٣٤) « غار (أغار) » (ص٤٣) — « إسل (إسأل) » (ص٦٥) .

(١) ص ٥٣ . (٢) ص ٧٨ . (٣) ص ١٢٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ز) إبدال ثاني الحرفين المدغمين ياء : = « دأيت (دللت) الحرامية » (ص ١٠٢) — « شقيته (شققته) » (ص١٠٨) .

(ح) الاشباع : = « روحْ (رُحْ) » (ص ٩١) .

وفي نسق الكاتب ظاهرة غريبة : وهي ميله الى استعمال صيغة المؤنث : = « غار معلّقة » (ص ٥٢ س ١١) — « عقرب صغيرة » (ص ٨١ س ٨) — « جحر ثانيـة » (ص ٨٤ س ١٤) — « الأرنب دخلت » (ص ١٤١ س ١) — « سكيناً صغيرة » (ص٧٦ س٢٣) - « طارت الحجل » (ص١٤٦ س١٥) .

للمخطوطة من حيث الخط ميزات منها انها انتهت الينا خلواً من حركات الاعراب ، ومن علامات الوقف ، ومن اكثر نقط الحروف ، بحيث يصعب احياناً التمييز بين الفاعل والمفعول ، وبين المعلوم والمجهول وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى . خذ مثالاً لذلك لفظة (عدل) التي وردت في قصة نمر جاء به احد الحلبيين الى صاحب القدموس . فان درنبورغ على مايظهر قرأها (عَدْل) (ص٨٣) وترجمها [1] (La séance) ، وهي في الحقيقة (عِدْل) بمعنى كيس . ولقد ورد في قصة بعض قطاعي الطرق كلمة (نسبقهم) فقرأها درنبورغ (تسبقهم) (ص ٥٤) ، وقرأها لاندبرغ [2] (تستبقيهم) ، وقرأها كاتب هذه الاسطر (يشنقهم) . بين (السبق) (والشنق) بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط ، ولكنه بالفعل فرق عظيم . في صفحة ٩١ ورد اسم علم هذه صورته (حرار) فهو جرّار ، جزّار ، جزّاز ، حرّار ، حَرّاز ، حَراز ، خراز ، خرّاز ، خزّار ، خَزّاز — عشر قراءات فقط لاغير و كلها واردة في اسماء اعلام الذهبي (المشتبه) [3] ، فاختر لك منها ما يحلو .

ولقد يؤدي عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة ، كما هي الحال في

---

(١) « Autobiographie d, Ousàma » (Paris ١٨٩٥) ص ١١٠ .

(٢) Landberg « Crtica arabica »N° 2 (Leiden ١٨٦٦) ص٢٦ .

(٣) (ليدن ١٨٦٣) ٩٧ — ١٠٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغات الاوربية احياناً — الى الاشتباه في اللغة العربية . ففي صفحة ٣٧ سطر ١٧ وصفحة ١٥٢ سطر ٧ وردت (العلاة) وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبورغ نكرة وترجمها (La ville hause) [١] . اما « قرية خربة » (ص ٦٠) فحسبها علماً [٢] .

ان إرجاع الضمير من معضلات العربية . ولمكان الاشكال فيه جعل درنبورغ يحسب مرة ان المطعون طار من السرج الى رقبة الحصان ، والحال انه الطاعن (ص ٤٦) [٣] ، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض (ص ١٠٧) [٤] ، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه ، وثالثة ان الجريح غشي عليه [٤] ، والحال ان الغلام الشاهد هو الذي غشي عليه (ص ١٠٧) .

وليس في المصطلحات العربية علامات للاقتباس تتضمن الجمل المحكية . وهذا ماجعل درنبورغ [٥] يعتبر الجملة الاخيرة من خطاب أسامة لرجالة عسقلان غير داخلة في ذلك الخطاب ، مع انها جزء منه (ص ١١) . ولما مثل أسامة بين يدي الملك الافرنجي فُلِك وأعرب له هذا عن فرحه به لانه فارس عظيم أجاب أسامة « انا فارس من جنسي وقومي » وورد على اثر ذلك في الاصل « واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان أعجب لهم » . فدرنبورغ [٦] ضمّن العبارة الثانية في الاقتباس وجعل أسامة دقيقاً طويلاً بالاستنتاج . والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخلة في الاقتباس والضمير فيها يعود للافرنج ، فيكون أسامة سميناً قصيراً .

لم يكن أسامة يحسن غير اللغة العربية . ففي صفحة ٤٩ يقول عن الافرنج « انهم لايتكلمون الا بالافرنجي ماندري ما يقولون » . وفي مكان آخر يشير الى امرأة افرنجية « تبربر بلسانهم وانا لاأدري ماتقول » (ص ١٠٤) ، ويذكر ان رفيقه الغسياني « التفت الى غلام له كله بالتركي ولا أدري مايقول » (ص ٧٥) . وفي غير موضع يقول « وهم يتكلمون بالتركي ولاأدري مايقولون » (ص ١١٢) . على ان ذلك كله لم يمنعه من استعمال

---

(١) (Autobiographie) ص ٥٠ (٢) ايضاً ص ٨١ .
(٣) قايل (Autobiographie) ص ٦٣ (٤) ايضاً ١٤٢ .
(٥) ايضاً ١٤ (٦) ايضاً ٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلمات افرنجية كـ: «سرجندي» (ص٥٦) و« سرجند » (ص٤٩) (sergeant) = «تركبولي» (ص٣٧) (Turcopole) = « برجامي» (ص١٠٤) (bourgeoisie) « البسكند » (ص١٠٢) (viscount) = « الداما » (ص١٠٠) (madame) = « البرونس » (ص٨٧) (prince) .

والذي يهمنا اكثر من ذلك استعمال طائفة من الكلمات الفارسية والتركية واليونانية التي كانت صقلتها ألسن العرب وألفتها آذانهم . ومما يجب ملاحظته ان معظم أسماء آلات الحرب انما هي فارسية ، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربية عن جيرانهم الفرس . واليك بعض الأمثلة من الألفاظ الفارسية المعرّبة :

(سِندروس) (ص٨س١٣) (سَندروس ، معدن شبيه بالكهرباء — سَرْفسار) (ص٩س٢٠) (سَرْأفسار ، راس العنان — كُزاغند) (ص٣٤س٣٧) (كزاگند . كزاغند ، سترة تقوم مقام الدرع — (دركاه) (ص٣٦س١٩) (دركاه ، بلاط الملك = (دُشني) (ص٣٨س١٦) دشنه ، خنجر = (خِشْت) (ص٣٨س٢٠) خشت ، حربه = (موزا) (ص٥٣س٢٣) = مُوزه ، خفّ = (اوزبه) (صفحة٥٤س١٠) = اوزبك ، اميرالجيش = (پُشت) (صفحة٨٦س٢٤) = پشت ، عباءة = (تَرْكَش) (صفحة١٥٨ س٨) = تَركُش ، جعبة = (ديدب) (صفحة ٩٤ س١٠) = ديده بان ، راقب .

وهنالك لفظتان فارسيتان اشتبه امرهما على درنبورغ فحسبهما عربيتين : (برجم) (صفحة١١٨س٩) = پـ جم ، شعر ذنب عجل البحر . فظنها درنبورغ (براجم) العربية وترجمها (Articulatoins de doigts) [1] . و(نشاف) (صفحة٩٨س١) وهي في الراجح (نِشاف) الفارسية = بلّه . وترجمها درنبورغ [2] (Consomption) .

واليك مثالاً من الالفاظ التركية الواردة في الكتاب : (يَرَق) (صفحة٧٦س٦) يراق ، سلاح = (جوبان) (صفحة٧٨س١٣) = چوبان ، راعٍ [3] .

---

(١) (Autobiographie) ١٥٦ . (٢) ايضاً ١٢٩ . (٣) اما درنبورغ (صفحة١٠٥) فحسبها علماً وكتبها (Djaubàn al-khail) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الألفاظ اليونانية : (سقلاطون) (صفحة٧س ٢١) = ثياب موشيّة = (قنطارية) (صفحة٤٢س ٢١)= الرمح او قنانه = (زُرْبول) (صفحة ٨١س٧) = حذاء .

ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي جهاد العلماء الابطال في حل ألغاز المخطوطة العربية وكشف معمياتها ، واني مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الاصل وفهم المراد .

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنسية لِ « كتاب الاعتبار » ظهرت ترجمة المانية بقلم جورج شومان (Georg Schumann) عنوانها : [1] (Usama Ibn munkidh memoiren) اعتمد فيها الكاتب على الترجمة الافرنسية مع تصريحه في مقدمة الكتاب بانه ترجمه عن الاصل العربي . وهذه بعض الشواهد على ذلك : درنبورغ اغفل سهواً في ترجمته [2] اسم خطيب إسعرد الاول وهو (سراج الدين) مع انه مثبت في الاصل (صفحة ١٢٥) ، وكذلك فعل شومان [3] . اقحم درنبورغ في مكانين من ترجمته [4] كلمة (نصر) بعد (ناصرالدين) وهي غير واردة في الاصل (صفحة ٢٠س٢و١٢) ، وشومان اتبع اثره [5] . في موضع آخر اشتبهت كلمة (ثمان) (صفحة٧٧س١٩) على درنبورغ فحسبها (ثمن) وجعل غلة الطاحون مائة دينار (Cent dinars) [6] بدلاً من ثمانمائة دينار كما هي في الاصل العربي ، وشومان اقتفى خطواته (على العمياني) وترجم [7] hundert denaren

ولقد نشرت في العام الفائت عن المخطوطة الاصلية المحفوظة بالاسكوريال (كتاب الاعتبار) هذا مترجماً للانكليزية بعنوان: (An Arab-syrian gentlema nauel warrior ui the period of the Cruisades) (New york) .

وهي المخطوطة التي نحن بصدد نشرها . وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة أخرى انكليزية [8] لاقيمة علمية لها ولاجديد فيها لانها مبنية على الترجمة الافرنسية السابقة .

(١) طبع (Innsbruck) سنة ١٩٠٥ . (٢) (Autobiographie) ١٦٥ .
(٣) (Memoiren) ٢٢٩ . (٤) (Autobiographie) ٢٦س١٤ وس٣٧
(٥) (memoiren) ٥٠ و٥١ . (٦) (Autobiographie) ١٠٤ س ١٩ وس٢٨ . (٧) (Memoiren) ١٥٤ س١٥ ـ ١٦ و٢٤ .
(٨) « Autobiography of Ousama ibn -Mounkidh »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيكون الكتاب قد ترجم للافرنسية والالمانية والانكليزية .

في يوم الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ هـ (١٦ تشرين الثاني سنة ١١٨٨) وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت المقدس من يد الافرنج ، توفي أسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية) ، ودُفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل قاسيون الجبل الذي نعته ياقوت [1] بانه (مُعظَّم مُقدَّس) . ولقد دُرس قبره مع مادرس من الآثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على أنقاضها الدور الحديثة [2] . ولكن المترجم الدمشقي الشهير بابن خلكان زار تربة أسامة بعيد وفاته حيث قال « ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأتُ عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه) [3] .

جامعة برنستون : فيليب حتي

عضو المجمع العلمي العربي

(١) « معجم البلدان » ٤ : ١٣ .

(٢) هذه خلاصة تقرير تكرم به بتاريخ ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨ الاستاذ « المغربي » احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وكنت كلفته امر التنقيب عن قبر أسامة . (٣) ١ : ١١٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net